الفصل الثامن والخمسون بعد المئة

المعلقات السبع

ومن الشعر الجاهلي قصائد عرفت بين الناس باسم (المعلقات السبع) وبـ (المعلقات) وبـ (المذهبات) وبـ (السموط) ، لزعم الرواة أن العرب اختارتها من بين سائر الشعر الجاهلي ، فكتبتها بماء الذهب على القباطي ، ثم علقتها على الكعبة إعجاباً بها واشادة بذكرها ، وقد بقي بعضها الى يوم الفتح ، وذهب ببعضها حريق أصاب الكعبة قبل الاسلام[1] .

والمعلقات السبع هي سبع قصائد طويلة اختيرت من الشعر الجاهلي ، فعرفت لذلك بين الناس بـ (السبع) وبالسبع الطوال ، وبالسبع الطول ، وبالقصائد المختارة، وبالسبعيات ، وعرفت أيضاً باختيارات حماد ، وبالسمط،وبالسموط ، وبالمذهبات. ويظهر ان لفظة (السبع) ، هي من الألفاظ القديمة التي أطلقت على اختيارات (حماد) ، فقد ذكر (محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب : ان أبا عبيدة قال : أصحابُ السبع التي تسمى السمط : امرؤ القيس، وزهير ، والنابغة ، والأعشى ، ولبيد ، وعمرو ، وطرفة . قال : وقال المفضل : من زعم أنّ في السبع التي تسمى السمط لأحد غير هؤلاء فقد

---

١ المزهر (٢/٤٨٠) ، الجزء الاول من تاريخ العرب قبل الاسلام (١/٣٧) ، العمدة (٩٦) ، العقد الفريد (٦/١٦٩) .

أبطل »[1] . ولما تحدث (ابن قتيبة) عن معلقة (عمرو بن كلثوم) ، قال : « وهي من جيد شعر العرب القديم ، واحدى السبع »[2] . فالسبع ، تسمية أخذت من حقيقة ان القصائد المذكورة المختارة كانت سبع قصائد .

وأما تسمية المعلقات بـ (السبع الطوال) و (السبع الطوال) ، فلكون هذه القصائد السبعة ، هي من أطول ما ورد في الشعر الجاهلي من قصائد . ونجد هذه التسمية واردة على لسان (المفضل) حيث نسب اليه قوله : « هؤلاء أصحاب السبع الطوال »[3] . وقد أطلقها (ابن كيسان) المتوفى سنة (٢٩٩ هـ) (٩١١)[4] ، (٣٢٠ هـ) (٩٣٢)[5] ، على شرحه لتلك القصائد حيث سمّاه بـ (شرح السبع الطوال الجاهلية)[6] ، وأطلق (أبو جعفر أحمد بن محمد) النحّاس (٣٣٨) هذا العنوان عليها ، إذ ذكرها بقوله : « ان حماداً هو الذي جمع السبع الطوال ، ولم يثبت ما ذكره الناس من انها كانت معلقة على الكعبة »[7] ، وأطلقه على شرحه لها[8] .

وعرفت أيضاً بـ (القصائد السبع) وبـ (القصائد السبع الطوال) وبـ (القصائد)[8]. وبـ (القصائد التسع) ، وبـ (القصائد التسع المشهورة) ، وذلك بالنسبة لمن أضاف على القصائد المذكورة قصيدتين أخريين[9] ، وبـ (القصائد العشر) ، وذلك بالنسبة لمن أضاف ثلاث قصائد عليها[10] .

ويظهر أن مصطلح (السبع الطوال) ، هو أنسب المصطلحات تعبيراً عن هذه القصائد ، لأنها تمثل في الواقع أطول ما وصل الينا من الشعر الجاهلي . فإن عدد أبيات أقصر قصيدة من قصائدها هو (٦٤) بيتاً ، أما عدد أبيات أطول

---

١ المزهر (٢/٤٨٠) .
٢ الشعر والشعراء (١/١٥٨) ، (عمرو بن كلثوم) .
٣ الجمهرة (٤٥) .
٤ بلاشير (١٥٥) .
٥ بروكلمن (١/٧٠) .
٦ ياقوت ، ارشاد (٤/١٤٠) ، جواد علي ، تأريخ العرب قبل الاسلام (١/٣٧) .
٧ بلاشير (١٥٥) .
٨ الاغاني (١١/٨ ، ٤٢) ، بلاشير (١٥٥) ، شرح القصائد السبع الطوال) للانباري، (تحقيق عبد السلام محمد هارون) ، (القاهرة ١٩٦٢ م) ، (دار المعارف) .
٩ بروكلمن (١/٦٨) .
١٠ شرح القصائد العشر ، للتبريزي ، بروكلمن (١/٧١) .

قصيدة منها ، فهو (١٠٤) ، ومعدل أبيات المعلقات (٨٥) بيتاً[١] .

وعرفت هذه القصائد بـ (القصائد المختارة) لطبيعة كونها قصائد اختيرت من قصائد الشعر الجاهلي ، وانتخبت منه انتخاباً[٢] . ونجد مجموعة أخرى عرفت بـ « شعر الشعراء الست » ، وهم امرؤ القيس ، والنابعة ، وعلقمة ، وزهير ، وطرفة ، وعنترة . وقد أشار (البغدادي) الى كتاب دعاه : « مختار شعر الشعراء الست : امرؤ القيس ، والنابغة ، وعلقمة ، وزهير ، وطرفة ، وعنترة. وشرحها للأعلم الشنتمري »[٣] .

ولم نجد في الكتب التي وصلت الينا ، الاسم الصحيح الأول الذي أطلقه جامع هذه القصائد ومختارها عليها . وقد ورد في مقدمة شرح التبريزي (٥٠٢هـ) على (القصائد العشر) : « سألتني – أدام الله توفيقك – أن ألخص لك شرح القصائد السبع ، مع القصيدتين اللتين أضافهما اليها أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحوي – قصيدة النابغة الذبياني الدالية ، وقصيدة الأعشى اللامية – وقصيدة عبيد بن الأبرص تمام العشر »[٤] . فيظهر منها أن جملة (القصائد السبع) ، كانت غالبة على تلك القصائد ، من حقيقة كونها سبع قصائد في الأصل .

ولا نعلم اسم أول من أطلق مصطلح (المعلقات السبع) على هذه القصائد ، وفي أي وقت أطلقه عليها . ولا يستطيع أحد إثبات ان (حماداً) الراوية هو الذي أطلقه على منتقياته . وقد ذكر (بلاشير) ان (ابن قتيبة) لما تكلم عن قصيدة (عمرو بن كلثوم) التي تدخل في المعلقات قال عنها انها (احدى السبع المعلقات)[٥]. وقد رجعت الى النص فوجدته يقول : « وهي من جيد شعر العرب القديم ، واحدى السبع »[٦] ، ولما كنت لا أملك النسخة الافرنسية لكتاب (بلاشير) ، لذلك لا أدري اذا كانت تلك النسخة قد استخدمت جملة (احدى السبع المعلقات) ، كما وردت في الترجمة العربية ، أم ان الترجمة العربية هي التي استعملتها تصرفاً ،

---

١ Ch. J. Lyall, Ancient Arabian Poetry, p. XX.

٢ (شرح القصائد المختارة للتبريزي) ، السيوطي ، شرح شواهد المغني (١/١١) ، (مقدمة) .

٣ الخزانة (١/١٠) ، (بولاق) .

٤ شرح القصائد العشر (ص ٤٥) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .

٥ بلاشير (١٥٤) .

٦ الشعر والشعراء (١/١٥٩) .

وانها لم ترد في النص الأصل . واني أستبعد احتمال أخذ (بلاشير) من نسخة أخرى استعملت جملة (احدى السبع المعلقات) بدلاً من (احدى السبع) الواردة في النص الذي اعتمدت عليه ، المطبوع ببيروت سنة ١٩٦٤ م .

والعلماء مختلفون في القصائد التي تعدّ من المعلقات وفي عددها ، ولكنهم متفقون على خمس منها ، هي معلقات امرىء القيس ، وطرفة ، وزهير ، ولبيد ، وعمرو بن كلثوم . أما بقيتها ، فمنهم من يعد من بينها معلقة عنترة والحارث بن حلزة ، ومنهم من يدخل فيها قصيدتي النابغة والأعشى . وقد أضاف بعض العلماء القصيدتين اللتين اختارهما المفضل الضبي ، وهما قصيدتا النابغة والأعشى ، الى المعلقات السبع التي هي من اختيار حماد ، فجعلها تسع معلقات . ويرى (نولدكه) ان لولاء حماد لبكر بن وائل علاقة بإدخال حماد قصيدة الحارث بن حلزة اليشكري في جملة المعلقات ، وذلك ان حماداً كان مولى لبكر بن وائل ، وكانت هذه القبيلة في عداء مع تغلب ، ولما كانت قصيدة (عمرو بن كلثوم) التغلبي قد لقيت شهرة واسعة ، لم يسع حماد أن يعدل عن اختيارها ، فاختارها ، واختار معها قصيدة الحارث إرضاء لمن انتمى اليهم بالولاء ، مع قلة شهرتها بالنسبة الى القصائد الأخرى[1] .

ونجد في (الفهرست) اسم كتاب ذكر (ابن النديم) انه من مؤلفات (الأصمعي) ، دعاه (كتاب القصائد الست)[2] . ولهذه التسمية أهمية كبيرة ، لأنها تدل على ان (الأصمعي) ، كان قد اختار من القصائد المعروفة ست قصائد ، وضمها بين دفتي كتاب . ولم يشر (ابن النديم) الى أسماء القصائد الست المختارة ، ولكني لا أستبعد احتمال اسقاطه قصيدة واحدة من بين القصائد السبع التي اختارها (حماد) ، فصار العدد ست قصائد . كما أشار (البغدادي) الى كتاب دعاه : (مختار شعر الشعراء الست : امرىء القيس ، والنابغة ، وعلقمة ، وزهير ، وطرفة ، وعنترة) ، والى شرحها للأعلم الشنتمري[3] .

وأشار (السيوطي) أثناء حديثه في مقدمته لكتابه : « شرح شواهد المغني »

---

١ Brockelmann, I, S. 18, Char. Lyall, Translations of Ancient Arabian Poetry, London, 1885.

٢ الفهرست (٨٨) ، (الاصمعي) .

٣ خزانة (١/١٠) ، (بولاق) .

الى « شرح المعلقات السبع ، وما ضم اليها للتبريزي ولأبي جعفر النحاس،وشرح السبع العاليات للكميت ، وشرح القصائد المختارة للتبريزي »[1] . وتلفت جملة : « وشرح السبع العاليات للكميت » النظر ، لأنها جاءت في أثناء تحدث (السيوطي) عن الكتب التي رجع اليها في جمع مادة كتابه ، وفي أثناء تحدثه على المعلقات السبع وما ضم اليها للتبريزي ولأبي جعفر النحاس ، مما يدل على أنه قصد بشرح السبع العاليات للكميت ، قصائد سبعاً مختارة لها صلة بهذه المعلقات السبع ، ولا سيما وقد ذكر بعد هذا الشرح اسم شرح القصائد المختارة للتبريزي ، التي هي المعلقات العشر ، وأنه لم يقصد بالقصائد السبع (الهاشميات) ، (هاشميات) الكميت وهي أيضاً سبع قصائد ، من شعر هذا الشاعر ، عرفت بالهاشميات . ولو كان قصدها بالذات لدعاها باسمها الذي عرفت به ، وهو (الهاشميات)[2] ، وإنما قصد كتاباً آخر ، اسمه : (شرح السبع العاليات) ، ولفظة (العاليات) نعت للقصائد السبع . ولم يتحدث السيوطي ويا للأسف عن هذا الشرح بأي شيء،فهل يكون الكميت المتوفى سنة (١٢٦ هـ) ، أي قبل (حمّاد) ، قد اختار سبع قصائد جاهلية وضمها في ديوان عرف بـ (السبع العاليات) وقف عليها (حماد) أو صارت اليه ، فأملاها فنسبت اليه،على عادة القدماء في ذلك الوقت ، من أخذهم الكتب والروايات القديمة ، ثم املاءها على تلامذتهم ، فتنسب اليهم ، فتكون المعلقات اذن من جمع الكميت ، رواية حماد !

ويفهم من خبر مذكور في (خزانة الأدب) أن الخليفة (عبد الملك بن مروان) أمر فطرح شعر أربعة من أصحاب المعلقات ، وأثبت مكانهم أربعة . ومعنى هذا الخبر هو وجود المعلقات قبل أيام عبد الملك . وفي الكتاب خبر آخر هو أن بعض أمراء بني أمية أمر من اختار له سبعة أشعار ، فسماها المعلقات[3] ، وفي رواية أخرى : المعلقات الثواني[4] . ولم يعين المورد الشخص الذي أمر باختيار تلك الأشعار ، ولا الشخص الذي قام بالاختيار . ولعله قصد الوليد وحماداً ،

---

١ السيوطي ، شرح (١١) .
٢ القصائد الهاشميات ، للكميت (مطبعة الموسوعات بمصر ، ١٣٢١ هـ) ، بروكلمن (٢٤٣/١) ، وطبعت بليدن سنة ١٩٠٤ م ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (٣١٦/١) .
٣ خزانة الادب ، للبغدادي (٦١/١) .
٤ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١٨٧/٣) .

فإليهما ينصرف الذهن ، لما للوليد من ولع بالشعر ، ولما لحمّاد من علم به .

ولم يشر (البغدادي) صاحب (خزانة الأدب) الى اسم المورد الذى استقى منه خبره عن طرح (عبد الملك) شعر أربعة من أصحاب المعلقات ، واثباته أربعة مكانهم . كما أنه لم يشر الى أسماء أصحاب المعلقات الذين طرحت معلقاتهم ، ولا إلى أسماء الشعراء الأربعة الذين أثبتت قصائدهم مكان القصائد الأربع المطروحة .

وروي أن (معاوية) ،تذكر قصيدة (عمرو بن كلثوم) ، وقصيدة (الحارث ابن حلزة) فقال « قصيدة عمرو بن كلثوم ، وقصيدة الحارث بن حلزة ، من مفاخر العرب ، كانتا معلقتين بالكعبة دهراً »[1] .

والمعروف اليوم ، ان حماداً الراوية ، هو الذي جمع القصائد السبع المذكورة، وأذاعها بين الناس . وهو من حفظة الشعر ورواته وممن اشتهروا وعرفوا برواية الشعر القديم . وكان من المتكسبين بالشعر. وقد اتهم بالوضع وبالدس على الجاهليين وبالكذب عليهم : وهو نفسه لم ينكر ذلك ، ولم يبرىء نفسه من الدس على الجاهليين والوضع عليهم . ولكنه كان بإجماع أنصاره وخصومه من أفرس الناس بالشعر ، ومن أعلمهم بالشعر الجاهلي وبطرقه ودروبه وأساليبه ، ولعل علمه هذا بالشعر ، ورغبته في التفوق والتصدر على أقرانه المتعيشين مثله على رواية الشعر ، كانا في رأس الأسباب التي حملته على الوضع والدس والافتعال .

ووضع (المفضل) الضبي قصيدتي النابغة والأعشى مكان قصيدتي عنترة والحارث بن حلزة اليشكري في الاختيارات الشهيرة للمعلقات . وضم (أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل) النحوي قصيدتي النابغة والأعشى على اختيارات (حماد) فصار العدد تسع معلقات ، أضاف عليها بعض العلماء قصيدة (عبيد بن الأبرص) فصارت عشراً ، وقد شرحها (التبريزي)[2] . وجعل بعضهم العدد ثمانية . ولكن المشهور المعروف بين علماء الشعر الجاهلي انها سبع قصائد : وهي في رأيهم أفضل ما قيل من الشعر في زمان الجاهلية [3] .

ولأهل الأخبار قصص وحكايات عن سبب تسمية المعلقات بالمعلقات . فذكر

---

١ الخزانة (١٦٢/٣) .

٢ بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (٦٨/١) ، شرح التبريزي (٤٥) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .

٣ العقد الفريد (٩٣/٣) ، ابن خلدون (٥٠٩/١) .

(أحمد بن عبد ربه) مثلاً أن العرب كلفت بقصائد خاصة من الشعر الجاهلي وفضلتها على غيرها ، وعمدت الى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم ، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة ، وعلقتها في أستار الكعبة ، فمنه يقال : مذهبة امرىء القيس ومذهبة زهير ، والمذهبات سبع ، ويقال لها المعلقات[1] . وورد : يقال مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره . وقال (ابن رشيق) : « وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال مذهبة فلان ، إذا كانت أجود شعره ، ذكر ذلك غير واحد من العلماء . وقيل : بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول : علقوا لنا هذه ، لتكون في خزانته »[2] .

وذهب (السيوطي) هذا المذهب كذلك ، إذ قال : « وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك انها اختيرت من سائر الشعر ، فكتبت في القباطي بماء الذهب ، وعلقت على الكعبة ؛ فلذلك يقال : مذهبة فلان اذا كانت أجود شعره . ذكر ذلك غير واحد من العلماء . وقيل : بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة يقول : علقوا لنا هذه لتكون في خزانته »[3] . وهو رأي أخذه من (ابن رشيق) ، من كتابه (العمدة) . وكتاب العمدة من الموارد التي استقى منها (السيوطي) ، يشير اليه أحياناً ، ولا يشير اليه أحياناً أخرى ، كما هو الحال في هذه الجمل ، التي هي عبارة (ابن رشيق) بحروفها كما جاء في العمدة . وقد توفي (ابن رشيق) سنة (٤٥٦ هـ) .

وزعم بعض آخر أن العرب كانوا في جاهليتهم يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض ، فلا يعبأ به ولا ينشده أحد ، حتى يأتي مكة في موسم الحج فيعرضه على أندية قريش ، فإن استحسنوه روي ، وكان فخراً لقائله وعلق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر اليه ، وإن لم يستحسنوه طرح وذهب فيما يذهب . وقال « أبو عمرو بن العلاء : كانت العرب تجتمع في كل عام وكانت تعرض أشعارها على هذا الحي من قريش[4] ». وذهب (ابن خلدون) الى أن العرب

---

١ العقد الفريد (٣/١١٦) ، (٦/١١٩) ، (لجنة) .
٢ العمدة (١/٩٦) ، الخزانة (١/٦١) .
٣ السيوطي ، المزهر (٢/٤٨٠) .
٤ خزانة الأدب (١/٦١) .

كانوا يعلقون أشعارهم بأركان البيت كما فعل أصحاب المعلقات السبع ، وإنما كان يتوصل الى تعليق الشعر بها من له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانه في مضر[1] . وذكر أن « أول من علق شعره في الكعبة امرؤ القيس وبعده علقت الشعراء ، وعدد من علق شعره سبعة . ثانيهم طرفة بن العبد . ثالثهم زهير بن أبي سلمى ، رابعهم لبيد بن ربيعة ، خامسهم عنترة ، سادسهم الحارث بن حلزة ، سابعهم عمرو بن كلثوم . هذا هو المشهور »[2] . وروي عن (معاوية) قوله : « قصيدة عمرو بن كلثوم ، وقصيدة الحارث بن حلزة من مفاخر العرب كانتا معلقتين بالكعبة دهراً »[3] .

وعن (ابن الكلبي) انه قال : « أول شعر علق في الجاهلية شعر امرىء القيس علق على ركنٍ من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نظر اليه ، ثم أحدر فعلقت الشعراء ذلك بعده ، وكان ذلك فخراً للعرب في الجاهلية ، وعدّوا من علق شعره سبعة نفر ، إلا ان عبد الملك طرح شعر أربعة منهم وأثبت مكانهم أربعة »[4] .

ولا بد وأن يكون ظهور قصة التعليق قد حدث قبل أيام (ابن عبد ربه) المتوفى سنة (٣٢٨ هـ) ، لورودها في (العقد الفريد)[5] . (وابن عبد ربه) من معاصري (أبي جعفر أحمد بن محمد) النحاس ، المتوفى بعده بعشر سنوات ، أي سنة (٣٣٨هـ) ، الذي ذكر القصة أيضاً ، لكنه أنكر تعليق المعلقات، فعنده « أن حماداً هو الذي جمع السبع الطوال ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة »[6] . وذكر أنه قال في شرحه على المعلقات ما نصه : « واختلفوا في جمع القصائد السبع ، وقيل إن العرب كانوا يجتمعون بعكاظ فيتناشدون الأشعار ، فإذا استحسن الملك قصيدة قال : علقوا لنا هذه وأثبتوها في خزانتي » ، وقال أبو جعفر : « وأما قول من قال إنها علقت بالكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة » ، « وهو يستند في رأيه هذا ، إلى أن حماداً الراوية لما رأى زهد الناس في الشعر ، جمع لهم هذه القصائد السبع ، وقال هذه هي

---

١ مقدمة ابن خلدون (٥١١) ، (١/٥٠٩) .
٢ الخزانة (١/٦١) .
٣ الخزانة (١/٥١٩) ، (بولاق) .
٤ الرافعي (٢/١٨٧) .
٥ زيدان ، تأريخ آداب اللغة العربية (١/١٠٦) .
٦ ياقوت ، ارشاد (٤/١٤٠) .

المشهورات ! فسميت القصائد المشهورة »[1] .

وقد مشت اسطورة التعليق هذه بين الناس ، حتى صارت رأياً اعتقد به كثير من المحدثين ، الى درجة أن منهم من صار يغضب ويثور إذا قرأ رأياً يخالف هذا الرأي ، لاعتقاده أن في هذا الإنكار غضاً وتعريفاً بأخلد تراث من تراث العرب القديم ، وأن فيه انتقاصاً من قدر الأدب العربي التليد .

وقد تعرض المستشرقون منذ أيام (بوكوك) لموضوع المعلقات ، وقد رأى كثير منهم ان قصة التعليق قصة مصطنعة وان الموضوع مصنوع موضوع . ويرى (نولدكه) ان اختلاف رواة الشعر في ضبط أبيات تلك المعلقات ، دليل في حد ذاته على عدم صحة التعليق ، إذ لو كانت تلك القصائد معلقة ومشهورة وكانت مكتوبة لما وقع علماء الشعر في هذا الاختلاف . ثم يرى سبباً آخر يحمله على الشك في صحة ما يقال عن المعلقات . هو ان كل الذين كتبوا عن فتح مكة مثل الأزرقي وابن هشام والسهيلي وغيرهم وغيرهم ، أشاروا الى ان الرسول أمر بطمس الصور وكسر الأوثان والأصنام ، ولم يشيروا أبداً الى المعلقات ، ولو كانت المعلقات موجودة كلاً أو بعضاً لما غض أهل الأخبار أنظارهم عنها ، ولما سكتوا عن ذكرها ، لأهميتها عند العرب[2] .

ثم يرى (نولدكه) ان هذه القصائد لو كانت معلقة حقاً ، وكانت على الشهرة التي يذكرها أهل الأخبار لما أغفل أمرها في القرآن الكريم وفي كتب الحديث وفي كتب الأدب مثل كتاب الأغاني وأمثاله ، ولأشير اليها ، ولهذا يرى ان ما يروى عن المعلقات هو من القصص الذي نشأ عن التسمية وعن اختيارات حماد لها ، فلما أشاعها بين الناس ، أوجد الرواة لها قصة التعليق[3] .

وقد استدل (نولدكه) من عبارة : « وقال المفضل : القول عندنا ما قاله

---

١ محمد هاشم عطية ، الادب العربي وتأريخه (١٢٤) .

٢ Theodor Nöldeke, Beiträge zur Kenntniss der Poesie der Alten Araber, Hannover, 1864, S. XVIII. f.
راجع وصف دخول الرسول الكعبة ، وأمره بطمس الصور وكسر الاصنام والاوثان، ارشاد الساري (٦/٣٩٣ وما بعدها) .

٣ Nöldeke, Beiträge, S. XVII, XX.
بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (١/٦٧) .

أبو عبيدة في ترتيب طبقاتهم : وهو ان أول طبقاتهم أصحاب السبع معلقات . وهم : امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد . قال المفضل : هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب بالسموط، ومن زعم غير ذلك ، فقد خالف جمهور العلماء »[1] ، على ان الأدباء أوجدوا قصة تعليق المعلقات في الكعبة ، نظراً الى ما يقال من تفاخر الشعراء بعكاظ ، وتحكيم المحكمين فيما بينهم ، فرأى رواة الشعر أن يجعلوا المختار من الشعر ، وهو القصائد السبع الطوال سيد الشعر الجاهلي ، ولما كانت مكة ذات قدسية ، وجدوا انها أصلح مكان لأن يربط بينه وبين هذا المختار من عيون الشعر ، فأوجدوا حكاية التعليق[2] .

وبين المستشرقين فريق ذهبوا مذهب (نولدكه) في رفض قصة التعليق ، ورأوا أن القصة أسطورة لا أصل لها ولا فصل . وفريق أيد التعليق ، وهم أقلية ، وذهب مذهب المثبتين له من علماء الشعر الجاهلي . أما علماء العربية في أيامنا ، فهم أيضاً بين مؤيد وبين مخالف ، ولكل رأي .

وقد تعرض (الرافعي) لموضوع تعليق المعلقات ، فذهب الى أن قصة التعليق على الكعبة قصة مفتعلة ، وأن (ابن الكلبي) هو الذي ذكر خبر تعليقها على الكعبة، وأن مَنْ عدا ابن الكلبي ممن هم أوثق في رواية الشعر وأخباره لم يذكروا من ذلك شيئاً ، بل جملة كلامهم ترمي الى أن القصائد لم تخرج عن سبيل ما يختار من الشعر ، وأن المتأخرين هم الذين بنوا على خبر التعليق ما ذكروه من أمر الكتابة بالذهب أو بمائه في الحرير أو في القباطي ؛ وأن العرب بقيت تسجد لها (١٥٠) سنة حتى ظهر الإسلام ، تسجد لها كما يسجدون لأصنامهم[3] . (وابن الكلبي) على رأيه « هو أول من افترى خبر كتابة القصائد السبع المعلقات وتعليقها على الكعبة »[4] .

وتعرض (الرافعي) أيضاً الى رأي من ينكر أن هذه القصائد صحيحة النسبة الى قائليها ، مرجحاً أنها منحولة وضعها مثل حمّاد الراوية ، أو خلف الأحمر ،

---

١ Beiträge, S. XX.
٢ Nöldeke, Beiträge, S. XXII.
٣ الرافعي (١٨٦/٢ ، ١٩٢) .
٤ الرافعي (٤١٦/١) ، (١٩٢/٢) .

فرأى أنه رأي فائل ، لأن الروايات قد تواردت على نسبتها ، وتجد أشياء منها في الصدر الأول ، غير أنه مما لا شك فيه أن تلك القصائد لا تخلو من الزيادة وتعارض الألسنة ، قل ذلك أو كثر ، أما أن تكون بجملتها مولدة فدون هذا البناء نقض التأريخ[1] .

ولم أجد بين الموارد التي وصلت الينا من موارد مطبوعة أو مخطوطة مورداً واحداً ذكر ان الرسول حينما فتح مكة ، وأمر بتحطيم ما كان بها من أصنام وأوثان وبطمس ما كان بها من صور ، وجد معلقة واحدة أو جزءاً من معلقة أو أي شعر آخر وجد مكتوباً ومعلقاً على أركان الكعبة أو على أستارها ، كما اني لم أجد في أخبار بناء الكعبة خبراً يشير الى انهم علقوا المعلقات على الكعبة حينما أشادوها وبنوها من جديد . ولو كانت تلك القصائد قد علقت، لما سكت الرواة عنها وأغفلوا أمرها اغفالاً تاماً . ثم إن أهل الأخبار الذين أشاروا الى الحريق الذي أصاب الكعبة ، والذي أدى الى اعادة بنائها ، لم يشيروا أبداً الى احتراق المعلقات كلها أو جزء منها في هذا الحريق ، ولو كانت موجودة ومعلقة على الكعبة كما زعموا ، لما سكتوا عن ذكر هذا الحدث الهام . ثم اني لم أسمع ان أحداً من حملة الشعر الجاهلي من الصحابة أو التابعين ، ولا غيرهم من رواة شعر الجاهلية وحفظته ، وكلهم كانوا يتلذذون بروايته وبسماعه،أشار الى وجود معلقات ومذهبات وقصائد سبع مختارة ، ولو كان لهم علم بها لما أخفوا ذلك عمن جاء بعدهم أبداً . وتعليق المعلقات قصة ، لا أستبعد أن تكون من صنع (حماد) جامعها، أو من عمل من جاء بعده ، في تعليل سبب ذلك الاختيار .

وأما ما زعم من أن معاوية قال : « قصيدة عمرو بن كلثوم ، وقصيدة الحارث بن حلزة ، كانتا معلقتين بالكعبة دهراً »[2] ، فخبر لا يوثق به .

ومن (السمط) جاءت فكرة تعليق المعلقات . فالسمط : خيط النظم لأنه يعلق ، وقيل قلادة أطول من المخنقة ، والخيط ما دام فيه الخرز ، وجمعه (سموط)[3] . فالسمط يعلق ، وقد دعيت القصائد المذكورة بـ (السمط)،وقالوا

---

١ الرافعي (٢/١٩٣) .
٢ الخزانة (١/٥١٩) ، (بولاق) .
٣ اللسان (٧/٣٢٢) .

من ثم بتعليق تلك القصائد ، وتعليقها على الكعبة أو على استارها هو خير مكان يناسب المقام الذي وضعوه لتلك المنظومات .

وتلفت جملة : « وقال المفضل : من زعم أن في السبع التي تسمى السمط لأحد غير هؤلاء ، فقد أبطل » النظر حقاً[1] . فقد استعمل لفظة (السمط) ، فقط ، وقصد بها المعلقات،وهذا الاستعمال يدل على نعت العلماء للقصائد المذكورة بأن كل قصيدة منها وكأنها خيط من اللؤلؤ منظوم يتلو بعضه بعضاً ، وأن تلك القصائد السبع قد اختيرت من بين قصائد الشعر الجاهلي ، وأن من يزيد على ذلك العدد قصيدة ، فقد أخطأ .

وقد روي أن العرب كانت تسمي القصائد الطويلة الجيدة المقلدات والمسمطات[2]. و « مقلدات الشعر وقلائده البواقي على الدهر »[3] . « وسمط الشيء تسميطاً علقه بالسموط ، وهي السيور » ، ومن هـذا المعنى أخذ اختراع تعليق المعلقات في رأي بعض الباحثين[4] .

ويذكر علماء اللغة والشعر أن (المسمط) من الشعر ، أبيات تجمعها قافيـة واحدة مخالفة لقوافي الأبيات . ويقال قصيدة مسمطة،شبهت أبياتها المقفاة بالسموط . وذكر بعضهم : الشعر المسمط الذي يكـون في صدر البيت أبيات مشطورة أو منهوكة مقفاة وتجمعها قافية مخالفة لازمة القصيدة حتى تنقضي . وهو الذي يقال له عند المولدين : المخمس ، والمسبع ، والمثمن . وذكر بعض علماء الشعر ان لامرىء القيس قصيدتان سمطيتان[5] .

وأرى ان الذي أوحى الى أهل الأخبار بفكرة المعلقات السبع هو ما جاء في القرآن الكريم : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم »[6] ، وما جاء في الحديث من قوله : « أوتيت السبع الطول »[7] . وقد ذكر علماء التفسير ان (السبع الطول) من سور القرآن : سبع سور ، وهي سورة البقرة وسورة آل عمـران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ، واختلف في السابعة ، فمنهم من قال السابعة

---

١ العمدة (ص ٩٦) .
٢ البيان والتبيين (٢/٩) .
٣ تاج العروس (٢/٤٧٥) ، (قلد) .
٤ تاج العروس (٥/١٦١) ، (سمط) .
٥ تاج العروس (٥/١٦١) ، (سمط) .
٦ الحجر الآية ٨٧ .
٧ اللسان (١١/٤١٠) .

الأنفال ، ومنهم من جعل السابعة يونس ، ومنهم من قال انها سورة (الفاتحة) وانها « السبع المثاني ، لأنها تتألف من سبع آيات[1] . فمن السبع المثاني التي قصد بها السور السبع الطوال المذكورة ، والتي ذكر المفسرون انها خصت بهذه التسمية بسبب كونها أطول السور ولاحتوائها على أكثر الأحكام أخذ رواة الشعر في رأيي فكرتهم في المعلقات السبع ، التي نعتوها أيضاً بـ (الطوال) وبـ (السبع الطوال) وهو نعت جاء في الحديث وفي كتب التفسير للسبع المثاني ، أي للسور المذكورة، إذ عبّر عنها بـ (السبع الطوال) ، وورد في الحديث : « أوتيت السبع الطوال ».

ويلاحظ أن علماء الشعر مغرمون بعدد السبعة ، وأن نظام انتقائهم للأشعار قائم على سبع . فالمعلقات سبع ، ومنتقيات العرب والمذهبات التي للأوس والخزرج خاصة سبع كذلك ، وعيون المراثي سبع ، ومشوبات العرب وهي التي شابهن الكفر والإسلام سبع كذلك ، والملحمات سبع أيضاً . ومجموع هذه الاختيارات تسع وأربعون . وهي حاصل هذه المجموعات السبع التي تتألف كل مجموعة منها من سبعة أشعار[2] .

وهذا التقسيم السبعي لا بد أن يكون له أساس ، فليس من المعقول أن يكون اعتباطياً وعلى غير أساس . والمعروف أن التقسيم السبعي ، أو النظام السبعي ، تقسيم قديم يعود الى سنين طويلة قبل الميلاد ، فالسماوات والأرضون سبع ، والكواكب السيارة سبعة ، والأنغام الموسيقية سبعة ، وأيام الاسبوع سبعة. والعدد سبعة هو عدد مقدس عند بعض الشعوب القديمة .

وقد سبق لي أن تحدثت في مجلة المجمع العلمي العراقي عن المعلقات السبع ، وذكرت الأسباب التي حملت العلماء على تسميتها بالمعلقات .

---

١ تفسير الطبري (١٤/٣٥ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٢/٥٥٧) ، تفسير الطبرسي (٣/٣٤٤) .

٢ الرافعي (٣/١٩٠ وما بعدها) .